جدلية الموروث والمبتكر
في فن العراق المعاصر

م. د. علي صالح مهدي محمد
جامعة الاسراء - كلية الفنون الجميلة – قسم التصميم الداخلي، بغداد \ العراق

The Dialectics Inheritance and the Innovative in Contemporary Iraqi Art

Lect. Dr. Ali Salih Mahdi Muhammad
Al-Esraa University - Fine Art College -Interior Design Department, Baghdad / Iraq
alibabilon@mail.ru

المستخلص

يتلخص البحث في دراسة تاريخ الحركة الفنية التشكيلية في العراق وفي مراحل زمنية مختلفة بشكل عام، وكذلك اعتمد البحث على الوصفي التحليلي لاعمال بعض الفنانين التشكيليين بشكل خاص (فائق حسن، ماهود احمد وحسن عبد علوان)، والكشف عن عمق اصالة اعمالهم الفنية بين (التأثر والتأثير) ومدى تجردها من تاثيرات المدارس الاجنبية المختلفة المبتكرة والمعاصرة التي تبنت المفهوم الشكلي المتمثل في قيمة تقنية اللون على حساب المضمون اوالجوهر، وفي بحثنا هذا لا نلغي دورالاساليب الفنية المعاصرة في الابتكار والتجدد الذي يتماشى مع روح العصر، بل ندعو الى انغماسها في الموروث الفني لانتاج اعمال فنية تحمل في اشكالها وجوهرها سمات الهوية والخصوصية والتفرد برؤية شخصية جديدة.

الكلمات المفتاحية: الموروث، الموروث الثقافي، الابتكار والفن المعاصر.

Abstract

The research is summed up in studying the history of the plastic arts movement in Iraq and in different temporal and historical stages in general. The research also relied on a descriptive analysis of the works of some plastic artists in particular (Faiq Hassan, Mahood Ahmed and Hassan Abed Alwan), and revealing the depth of the originality of their artistic works among (Influence and influence) and the extent to which it is stripped of the influences of the various innovative and contemporary foreign schools that have adopted the concept of form represented by the value of color technology at the expense of content or essence. In our research, we here do not eliminate the role of contemporary artistic methods in innovation and renewal that is in line with the spirit of the times, but rather we call for their immersion in the heritage. Artistic to produce artistic works that carry in their forms and essence the characteristics of identity, privacy and uniqueness with a new personal vision.

Keywords: Inheritance, Cultural heritage, Innovation, Contemporary art

الفصل الاول \ الاطار المنهجي للبحث

مشكلة البحث

– ماهو موقف الفن التشكيلي العراقي المعاصر من الجدلية القائمة بين الموروث والمبتكر؟ هل يعتمد الجواب على الميول والرغبة الشخصية للتدريسي؟ ام يعتمدعلى توجيه الدولة والمؤسسات الفنية والتربوية نحو الاهتمام بالارث الفني الحضاري والثقافي المحلي؟

– سمة الفن التشكيلي في العراق تعكس اتجاهات فنية مختلفة، وفي المؤسسات التربوية الفنية تعتمد على التجربة الشخصية لاساتذة الفن، والتي تعكس مرجعياتهم وميولهم في دراستهم، والتي غالبا لا تمت صلة بجذور الارث الحضاري.

– افتقارالمؤسسات التربوية الفنية الى خطة علمية تطبيقية لدراسة وتحليل اعمال ولوحات الفنانين التشكليين العراقيين المعاصرين، الذين تميزوا بتجاربهم الاصيلة، لتكون مرجع فني لطلبة الفنون، لخلق روح الانتماء واغناء الوعي الفكري وتطوير المهارات الابداعية.

اهمية البحث

تتجلى اهمية البحث في كونه اسهاما معرفيا متمثل في دراسة وتحليل اعمال الفنانين العراقيين، الذين اتسمت تجربتهم الفنية بالأصالة من خلال الاستلهام من الموروث العراقي الفني العريق، وتفيد هذه الدراسة تدريسيي وطلبة كليات ومعاهد الفنون الجميلة

هدفا البحث

الكشف عن المفردات والعناصر الشكلية الموروثة في الاساليب الفنية المبتكرة والمعاصرة.

حدود البحث

اقتصر البحث الحالي على

– الحد الموضوعي: دراسة مجموعة من اعمال لبعض الفنانين العراقيين

– الحد المكاني: العراق

– الحد الزماني: 1970 – 1995

المصطلحات

– **الموروث:** هو كل ما ينتقل من عادات وتقاليد وعلوم واداب وفنون ونحوها من جيل الى اخر.

– **الموروث الثقافي:** لاي بلد هو تعبيرا جليا عن هويته الوطنية والانسانية في مراحل زمنية وتاريخية مختلفة فهو يشمل الموروث المادي وغير المادي.

– **الابتكار:** عملية طرح أفكار أو أساليب أو منتجات أو خدمات أو حلول جديدة لها تأثير وقيمة إيجابية كبيرة وهو ينطوي على تحويل المفاهيم الإبداعية إلى نتائج ملموسة تعمل على تحسين الكفاءة والفعالية، أو معالجة الاحتياجات غير الملباة، ويعرف كذلك على انه عملية إنشاء وتطوير فكرة جديدة أو تحويل فكرة موجودة إلى حقيقة ملموسة. إنها عملية تتطلب التفكير الإبداعي والتخيل والاستعداد للتغيير يتميز الابتكار بالتجديد والتميز عن الروتين والتقليد، ويهدف إلى إحداث تحسين وتغيير إيجابي في المنظمات والمجتمعات.

– **الفن المعاصر:** يرى مؤرخ الفن وأستاذ الفنون والأفلام والدراسات المرئية بجامعة هارفارد ديفيد جوسيليت أن الفن المعاصر – في جوهره – يشير إلى العمل الإبداعي الذي يتم إنتاجه وتقديمه في الوقت الحاضر، وهو فن صنعه فنانون أحياء، وتعكس مواضيعه اهتمامات ووجهات نظر الفنانين والجمهور، ويعد الوسيلة التي تتيح للفنانين التفاعل مع العالم من حولهم.

هو شكل من أشكال التجديد الشامل للمفاهيم الفنية وطرق التعبير عنها، ابتداء من نظرة الفنان للمجتمع والفن ونظرة المجتمع للفن، كردة فعل نتجت عن التطوّر الذي أنشأته الثورة الصناعية، فكان لا بدّ للفن من نقلة نوعية، فالفن المعاصر هو ما يُمكن تسميته بفن اليوم؛ أي أنه آخر ما توصلت له المدارس الفنية من نُظم وأنماط.

الفصل الثاني \ الاطار النظري

المبحث الاول: جدلية الموروث والمبتكر

لعبت العولمة دورا كبيرا في في كثير من المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فألغت العديد من الحواجز ووحدت المعايير واضعفت دورالتاريخ وتبنت رؤية اللاحدود واللامكان، ويرى البعض ان العولمة هي ارتقاء بالخصوصية والمحلية الى مدى العالمية، بينما يراها البعض الاخرعلى انها ظاهرة كأداة للهيمنة وطمس الهوية. ان هذه الجدلية تظهرا اكثر وضوحا وبروزا في الدول العربية والاسلامية وفي الاطارالفني تحديدا، وتمثلت بين الدعوة للتمسك بالموروث والمنجز الاصيل وبين المبتكر برؤية جديدة منقطعة عن الماضي، ويظهر هنا جدل اخر في مفهوم الموروث نفسه، بين المروروث الفني الاسلامي الذي يعتبرارث مشترك لكل الدول العربية والدول الغيرالعربية (الاسلامية) وبين الارث الثقافي المتفرد والخاص بكل دولة، والذي قد يكون بمراحل تاريخية قد تكون قبل ظهور الحضارة الاسلامية (كحضارة وادي الرافدين والفرعونية والفارسية وحضارات اخرى) او بعدها كالموروث الشعبي مثلا (خورولسكي،2023،ص 233). العراق من بين الدول التي تملك ارث حضاري عريق وغني في كل المراحل التاريخية، والذي تميز بتنوع منجزه ونتاجه الفني، ويرجع هذا التنوع الفني الى التحولات والمتغيرات السياسية التي انعكست على الحياة الاجتماعية والعمرانية والفنية، ونلمس ذلك في اعمال ومنجزات ونتاجات حضارة وادي الرافدين بدءا من عصور بداية التاريخ المتمثلة بالحضارة السومرية والاكدية والبابلية والاشورية، والتي خلفت لنا شواهد عديدة في بناء القصور والمعابد، والاعمال الفنية في النحت المجسم والنحت البارز والغائر والاختام الاسطوانية والرسم الجداري والفخار وكل الاعمال الاخرى من مسلات ولوحات جدارية. لم يقتصر التنوع في المنجزالفني في العراق على الحضارة الرافدينية فقط، بل امتد الى حقب زمنية اخرى تمثلت في العصر الاسلامي الذي اخذ منحنى فريدا شكلا ومضمونا، فقد شهد العالم العربي والاسلامي ولا سيما في النصف الثاني من القرن السادس الهجري وما تلاه، من حركة فكرية وثقافية واجتماعية ملحوظة، فكان الاستقرار السياسي اهم العوامل التي ساعدت

على نهوض هذا الازدهار وسيادته في المجتمع العربي، فعدَ التصوير من اهم الفروع التي ساعدت المختصين في دراسة الفن الاسلامي خاصة، وواقع المجتمع العربي عامة (محمود، محمد خضر، 2009،ص10)، ويتجلى هذا الازهار في العصر العباسي حيث بلغت فيه العلوم والبناء العمراني والفن الذروة في هذه الحقبة التاريخية، وبالحديث عن فن التصويرفيرجح ان اول واقدم مدرسة للتصوير هي مدرسة بغداد في التصوير، والتي تمثلت بمقامات[1] الحريري ليحيي بن محمود الواسطي (علام، نعمت اسماعيل، ص 186). مثلت هذه المصورات بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في العصر العباسي، والتي عبَرت بشكل مصور عن اهم مميزات التصوير الاسلامي، كذلك عبَرت عما احتفظت به مدينة بغداد من الهوية الثقافية حتى نهاية العصر العباسي (ال سعيد، شاكر حسن، ص32). ويمكننا ان نلخص ما ذكرناه بان التنوع والتفرد بالاسلوب والخصوصية في المنجزوالارث الفني العراقي لم يكن مقتصرا على حقبة وادي الرافدين بل حتى في العصر الاسلامي كان متفردا، وتوجد الكثير من الامثلة والشواهد على ذلك، كالعمارة مثلا (الملوية، جامع السهروردي، الاضرحة...والخ)، وكذلك الفنون الاخرى، ومن هنا يظهر التساؤل،، هل يمكن ان تتبنى الدولة المتمثلة في مؤسساتها التربوية والثقافية مسوؤليتها في التوجه نحو الحفاظ على الارث الفني الثقافي العراقي؟ ام انها مسالة شخصية تعتمد على ميول اساتذة الفن؟

المبحث الثاني: تاريخ الفن التشكيلي في العراق – الحداثة وما بعدها في الفن التشكيلي المعاصر

تاريخ الفن التشكيلي في العراق

الفن فعل تفاعل يترجم ادراك الفنان للمسنوى العقلي بكافة تجلياته الفطرية والتركيبية.ويحاول الفن في جميع نشاطاته الاساسية ان يحدثنا عن شيء ما: حول الكون، حول الانسان، او حول الفنان نفسه. فالفن طريقة للمعرفة تتميز عن سائرالطرائق التي بواسطتها يتوصل الانسان الى فهم بيئته (ريد، 1975،ص17).

1- المقامات مفردة مقامة وهي العظة أو الحكمة اوالخطبة الذي يقوم شخص بإلقائها، اسبر جنيدي، (محمد سعيد، بلال)، معجم في علوم اللغة العربية، بيروت، 1981 ص.889

يرى موندريان[1]*، ان الفن بديلا للحياة،ووسيلة لايجاد التوازن بين الانسان والعالم الذي يعيش فيه. وهي فكرة تحوي اعترافا جزئيا بطبيعة الفن وضرورته. ولكن وجود التوازن الدائم بين الانسان وعالمه امر مستبعد حتى في ارقى اشكال المجتمع. ومن هنا نستطيع ان نستنتج من هذا الراي – ان الفن سيكون ضرورة في المستقبل كما كان في الماضي (فيشر، ارنست، ص13).

والحديث عن الفن التشكيلي في العراق فأن البدايات الأولى له كان فيها الفعل الذاتي للفنان معدوماً إلى حد ما، إذ أنّ الفن التشكيلي ما هو إلا هواية يسعى الفنان من خلالها إلى الذوبان في الطبيعة ومحاكاتها، فقد كان الفن تسجيلا يكتفي بالتخطيط والتلوين بحدود المنظر الفوتوغرافي، وقد يعزى سبب المحاكاة عند الرعيل الاول من الفنانين أنهم درسوا الرسم طبقاً لأسس تربوية من خلال دراستهم في الأكاديميات العسكرية كمواكبة للمسارالثقافي الأوربي بشكل عام، مما دفع بالجيل التالي لإبتكار أفكارواساليب فنية جديدة بعيدا عن التقليد اصبحت فيما بعد قاعدة مهمة للانطلاق نحو اساليب فنية حداثوية.

وبحلول البواكير الأولى للعقد الثلاثيني بدأت البوادر الأولى لظهور المبدع العراقي في فني الرسم والنحت على حد سواء، حيث ولد العديد من الفنانين التشكيليين الذين أصبحوا فيما بعد يشكلون قوة جديدة أساسية في حركة الفن المعاصر وعُدوا الرعيل الثاني من الرواد تاريخيا وفي نفس الوقت هم جيل البحث والتطلع والتنوير، فقد بدأ المثقف العراقي يلمس حاجة المجتمع العراقي المثقل بهموم الحروب والاحتلال إلى الاطلاع على الفنون وإدخالها حيز الثقافة بشكل فعلي.

ففي بداية الثلاثينيات قامت وزارة المعارف العراقية بإرسال البعثات الأولى من الفنانين العراقيين كبشائر أولى لليقظة الفنية العراقية المعاصرة، لتنبدأ طلائع الفنانين بالسفر إلى أوروبا لدراسة الفن، وكان في مقدمة هؤلاء أكرم شكري الذي أوفد إلى انكلترا عام 1931، وتبعه فائق حسن موفدا إلى باريس ومن بعده عطا صبري وحافظ الدروبي إلى ايطاليا ليتبعهم جواد سليم ومحمد غني حكمت إلى باريس أيضا، واستمرت هذه البعثات جماعية وفردية لهؤلاء الفنانين وغيرهم في تلك المرحلة ومابعدها لتنتج جيلا فنيا

1- هو رسام هولندي امتازت اعماله بالتجريدية الهندسية.

جديدا يمتاز بأنه الأكثر مهارة في ممارسة العمل الفني من سابقيه، حيث بدأ الفنان العراقي بالاستجابة لإرادته الذاتية ولو بالشيء القليل بعيدا عن السليقة والقابلية المنماة بصورة شخصية أو شبه ثقافية، وبعودة هؤلاء الفنانين من بعثاتهم إلى بغداد أصبحت الحاجة ملحة لتأسيس معهد لتعليم وتدريس الفنون الجميلة ليبصر النور (المعهد العراقي) الذي أسس عام 1936م والذي شكل إحدى الخطوات المهمة في مسار الثقافة الفنية العراقية بوصفه أول مؤسسة حكومية عراقية تُعنى بتعليم الفنون بشكل رسمي تمهيدا لنشر الثقافة التشكيلية بين الأفراد المهتمين في هذا المجال ، وكان المعهد مقتصرا على فن الموسيقى بادئ الامر حتى مطلع عام 1939 وعودة الفنان فائق حسن من باريس ليفُتتح فرع الرسم في هذا المعهد ويسمى ب (معهد الفنون الجميلة) والذي تلاه افتتاح فرع النحت وتشكيل (جمعية أصدقاء الفن) عام 1941 من بعض محبي وهواة الفن المهتمين في مجال الثقافة الفنية (ال سعيد، فصول من تاريخ الحركة التشكيلية في العراق،ص31).

اتسمت الحركة الفنية بعد افتتاح معهد الفنون الجميلة بسمة جديدة هي ظهور (الجماعات الفنية) والتي كان في مستهلها (جمعية أصدقاء الفن) التي تشكلت على يد الفنان أكرم شكري وكريم مجيد وعطا صبري وشوكت سليمان وغيرهم، وقد التزم الفنانون المبعوثون إلى خارج العراق بالتدريس في (معهد الفنون الجميلة) كمؤسسة تعليمية فنية مما أدى إلى نشر الوعي الفني بفكر وأسلوب جديدين في الفن التشكيلي العراقي، فقد بدأت حركة التشكيل العراقي بالاقتراب (إن لم يكن الارتباط) بالفكر الفني العالمي والأوروبي المعاصر عن طريق توجه الفنان العراقي للاهتمام بالأساليب الفنية الأوروبية وإضفاء طابع القدسية للعمل الفني لذاته بعيدا عن المحاكاة الخالصة وممارسة الهواية الشخصية، ليكون العقد الاربعيني بداية لمرحلة جديدة من الاكتشافات الفنية، فقد بدأت بعد الحرب العالمية الثانية هجرة الفنانين البولونيين إلى بغداد وامتزاج اساليبهم وتقنياتهم الفنية بأساليب رساميا ليطوروا امكانياتهم الابداعية بمحفزات اوربية من نوع اخر (ال سعيد، شاكر حسن، فصول من تاريخ الحركة التشكيلية في العراق ص65)..

ومن الجدير بالذكر أن العقد الاربعيني من القرن العشرين قد لاحت في أفقه أولى بوادر التنظير في مجال الفن التشكيلي العراقي بصدور مجلة الفكر الحديث عام 1942 على يد الفنان جميل حمودي والتي تخصصت بالفن والنقد، وعُدت هذه المجلة كأول

محاولة تأسيسية للنقد الفني في العراق كما وصفها بعض الفنانين والمنظرين بأنها مثلت دور الريادة في نشر الدراسات الفنية الجادة، فقد كانت فترة الاربعينيات وماسبقها من تأريخ الفن العراقي بداية لمرحلة جديدة في الفن التشكيلي العراقي بمعطيات فكرية شكلت بداية لإزدهار فني جديد قائم على الحداثة والتجديد، فقد ازداد عدد الرسامين والنحاتين من محترفين وهواة واصبحت معارضهم تدل على التكتلات المتفاوتة بأساليبها الفنية والمتسابقة في وفرة المنجزات الفنية وتحسينها، وقد شكلت هذه المرحلة تحولا مهما في أساليب التغيير لدى الفنان العراقي من محاكٍ للطبيعة إلى التعبير بأساليب حديثة، فضلا عن تعزيز رسالة الفنان العراقي الثقافية أثر وعيه بحقيقة الفن ودوره في رقي المجتمعات"..

الفن التشكيلي في العراق... الحدائة وما بعدها

تعددت أساليب وطرق إنجازالأعمال الفنية التشكيلية مع حلول النصف الثاني من القرن العشرين وظهرت بوادر التحولات في حركة الفن التشكيلي العراقي والعالمي، فقد بدأت مرحلة القضاء على الجماليات الموروثة المرتبطة بفكرة الاشكال ليحل محلها واقع جديد للعمل الفني يستمد جمالياته وقيمته الفنية من مقومات المجتمع الحضارية، فالأعمال الفنية في هذه المرحلة لم تعد كمنتج مبتكر قادر بحد ذاته على التعبيربل إستُحدثت بصيغة جمالية فنية جديدة ترفض القوانين والقيم الثابتة والأساليب التقليدية هدفها التواصل مع المجتمع بكل متغيراته المواكبة لروح العصر، فظهرت على إثر ذلك اتجاهات فنية تسعى لتحقيق التفرد وخلق لغة بصرية جديدة تدعو لصيغ جمالية فنية ذات تميز وتطلع لجديد الابتكارات الفنية، سواء في الشكل أو الفكرة اوالمحتوى المطروح على سطح اللوحة.

سارَ التشكيليون العراقيون والاحلام تسبقهم في تفجير ممكِنات الوعي الجمالي وقراءة الظواهرعلى أساس من تكريس الأساليب ذات النسق الفردي وان انخرطت في ركاب جماعة اواخرى ، فقد كانوا ببساطة ثوارا في مجال الفن، فقد بدأ كل منهم يغامرعلى مسؤوليته بالبحث الحر عن أنظمته التشكيلية المعبرة عنه، فلم يعد الفنان يكتفي بتحليل الواقع أو نقده بل أبدى ميلا واضحا لخلق رموزه التي شكلت دلالات لامتناهية قابلة لإمتصاص معطيات جديدة يكشف عنها الواقع بعد انجاز العمل الفني، فالجيل الستيني

كما ذكرنا آنفا في الحلقة السابقة تميز بتنوع الأساليب والاتجاهات ليكمله الجيل السبعيني ويصبح امتداداً له، ليكونا معاً خاصية مميزة للفن العراقي في هذه المرحلة، فقد ولدت جماعات فنية جديدة حتى ارتفع عددها عام (1970) إلى ثمانية جماعات – (جماعة نينوى للفن الحديث) و(جماعة السبعين) و(جماعة المثلث) و(جماعة الدائرة) و(جماعي الظل) و(جماعة فناني السليمانية) و(جماعة باء) و(جماعة النجف). (الشـيخلي، اسـماعيل، 1996، ص3).

لقد شهد العقد السبعيني حراكاً فنياً دؤوباً من الفنانين تطلعاً منهم لإيجاد آليات اشتغال جديدة للارتقاء بمستوى الفن التشكيلي المعاصر في العراق فقد برزت فيه العديد من القدرات الفنية الفردية والجماعية التي أسهمت بشكل فاعل في تشكيل العديد من الجماعات الفنية الحديثة، ففي عام(1971) تأسس تجمع البعد الواحد لمجموعة من الفنانين المستلهمين للحرف في أعمالهم الفنية، وقد ضم هذا التجمع عددا من الفنانين ومنهم شاكر حسن آل سعيد ومديحة عمر وجميل حمودي وكل من أُولِعَ بأدخال الحرف العربي في إبداعاته، وكان الهدف من استلهام الحرف العربي في فن هذه النخبة من الفنانين الكشف عن معالم حضارتنا العربية وحث الفنان والجمهور للتعمق في صميم الكيان الداخلي للعمل الفني.... فالحرف العربي بمعطياته الفكرية يُعد حلقة وصل بين البلاد العربية والإسلامية، وفي نفس العام ظهرت (جماعة الأكاديميين) بفكرها الداعي الى التجديد للمفاهيم الأكاديمية كونها صفة مشتركة لكل الفنون لعلميتها فهي الرابط الوثيق بين الفنون والعلوم الأخرى، أما في عام 1972 فقد أتى محمود صبري ببيان (واقعية الكم)، كرؤية وأسلوب جديدين كاتجاه علمي من الفن، وفي نفس العام أقيم (مهرجان الواسطي) الفني الذي شكل مرفأً إبداعياً للتشكيليين العراقيين بمختلف تجاربهم وأساليبهم وإعلان حرية الفنان العراقي لاختيار أي اتجاه فني أو أسلوب يعبر عنه بصدق وبدون وصاية أي مؤسسة رسمية أو غير رسمية باختياراته الفنية.(جبرا، ابراهيم، جذور الفن العراقي، 1986، ص12 – ص13).

أما العقد الثمانيني فلم يكن أقل عطاء من سابقيه بالرغم من ظروف الحرب التي زُجَ بها العراق، فمع أطلالة العقد الثمانييني انطلقت جماعات فنية أخرى جذبت الإنتباه بتنوع اعمال مبدعيها وتباين مستويات التلقي لخطابهم البصري، فقد كان كل منهم يسعى الى إقتراح وسائل تطويرية تطبع العلاقة مع الذائقة على نحو مفارق.

وأقيمت الكثير من المعارض الفنية المهمة في هذه الفترة ومنها كان معرض الشباب الأول من عام 1985... ومعرض الشهيد السنوي ومعرض يوم الفن وغيرها من المعارض التي رفدت هذه المرحلة بعطاء زاخر بالتجارب الفنية المهمة بتعابيرها وتقنياتها المتقدمة، فالعقد الثمانيني بما يزخر به من معارض ومهرجانات فنية كبيرة كان له أثر كبير في امتزاج تجارب الفن التشكيلي العراقي المعاصر مع التجارب الفنية العالمية والعربية، وهذا مانلمسه حتى يومنا الحاضر في تجارب الفنانين التشكيليين العراقيين التي طالت معارضهم الكثير من قاعات العرض عالمياً وبحضور مشرف، فقد أدت الثورة الاتصالاتية الجديدة بما فيها من تطورمتواصل وقدرة المجتمعات الحديثة على تذوق الفنون إلى إبتكار اساليب وأفكار جديدة أغنت التجربة التشكيلية في العراق، وقد كانت تجارب الجيل الثمانيني والتسعيني وحتى اليوم تجارب استثنائية تحاول إخراج الفنان العراقي من تأثيرات الحروب وظلمة تسييس الفن التي كادت أن تطيح بحياة الفنان وخطابه الإنساني والروحي، فقد بدأ التسعينيون يقطفون ثمار تجاربهم ويلقون صدى طيبا رغم تشتت جهودهم حيث لا يلتقون إلاّ بين أوقات متباعدة بمعارضهم، فمتابعة هذا الجيل صعبة بسبب طبيعة المتغيرات المفاجئة الحدوث في الساحة التشكيلية لما يلاقيه هؤلاء من صعوبات التأسيس في ظل ظروف استثنائية، ولاننسى هجرة الكثير من الفنانين العراقيين إلى خارج العراق هروبا من الظروف القاسية التي تعرضوا لها في تلك الفترة.

إمتازت هذه المرحلة بإنتشار قاعات العرض الأهلية التي قد تكون قرّبت الفن أكثر من الجمهور مما يسّرَ للكثير من الهواة الشباب تقديم تجاربهم الفنية التي لم تعد معزولة عن اتجاهات التشكيل العالمي والعربي، فقد ظهر جيل فني أشدُّ حماساً للتغيير وتقديم الرؤى الفنية الجديدة في محاولة لخلق تحرك في الخطاب البصري، فقد شهد الفن التشكيلي المعاصر في العراق وفي هذه المرحلة بالتحديد تركيز الفنانين والنقاد والمتلقين على الخروج من الرسم بالمعنى الحرفي إلى مرحلة ما بعد الرسم.... بما تحمله من تصور لمفهوم فني مغاير يهجر التقنية الحرفية والمهارة السطحية ليؤسس لمرجعية جمالية جديدة بعيدة عن حضيض الإنتاج الاستهلاكي أي كونه مجرد واسطة للاستهلاك الإعلاني أو التزييني.

لقد تميز فنانوهذا الجيل بالابتعاد عن الأساليب التقليدية فهي لم تعد ممكنة إزاء حداثة اليوم، فالأسماء التي ظهرت اليوم توفر لديها المناخ الثقافي بدرجة لاتقارن مع سابقيها من خلال الانفتاح على العالم، بتطور تقنية المعلومات والتكنلوجيا الرقمية وما لها من الأثرالبالغ على إنسانية الكائن البشري ومنه الفنان فهي قد أثرت في قوى الإبداع لدى الفنان وأصبح متحكما بحريته في الاختيار... تلك الحرية التي هي رأس مال أي فنان مبدع (جبرا، ابراهيم جبرا، الفن المعاصر في العراق، بغداد، ص5، 6).

الفصل الثالث \ اجراءات البحث

منهج البحث: اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي على وفق الاليات: المضمون الفكري، التكوين الانشائي وتقنية الالوان.

مجتمع البحث: اعمال الفنانين العراقيين الذين اتسمت تجربتهم بالاصالة من خلال عكس الواقع العراقي البيئي والثقافي والتاريخي، بواقع 10 فنانين هم (نزار سليم، اسماعيل الشيخلي، حافظ الدروبي، نزيهة سليم، سعد الطائي، وليد شيت، كاظم حيدر، غازي السعودي، نوري الراوي، وسماء الاغا)

العينة: اختيرت عينة قصدية من المجتمع وبواقع ثلاث فنانين من المجتمع الاصلي (فائق حسن، ماهود احمد وحسن عبد علوان،) والتي اتسمت اعمالهم بالاصالة في تجسيد الموروث الفني والواقع العراقي، وبالتفرد والخصوصية العالية بالاسلوب الفني، كذلك اختيرت العينة على وفق تنوع الاساليب الفنية لهولاء الفنانين.

لوحة الفنان فائق حسن (البدويات).

لوحة الفنان ماهود احمد (نساء حول راس سرجون الاكدي).

لوحة الفنان حسن عبد علوان (امراة من الجنوب).

اداة البحث: استمارة تحليل الاعمال: تم بناء استمارة التحليل على ضوء الخطوات التالية:

1 - الاطلاع على الادبيات والمصادر العلمية ذات العلاقة بموضوع الدراسة

2 - الاطلاع على الدراسات السابقة من رسائل ماجستير واطاريح دكتوراه والبحوث المنشورة في المجلات العلمية.

3 - الدراسة الاستطلاعية.

4 - خبرة الباحث في مجال تخصصه.

في ضوء اعلاه تم بناء استمارة التحليل بصيغتها الاولية والبالغ عدد فقراتها (11).

صدق الاداة: تعرضت استمارة التحليل على مجموعة من الخبراء[1] والمختصين في الفنون التشكيلية وقد اخذ الباحث باراء الخبراء من دمج بعض الفقرات وتعديلها وحذف بعض منها لتصبح استمارة التحليل بصيغتها النهائية جاهزة للتحليل.

الفنان فائق حسن

انهمك فائق حسن مثالً بالمقدرة الفائقة في تنفيذ رسومهً ومحاولة اتقان حرفيتها وتقنياتها وموادها، تعويضا عن غياب الاهتمام بالمولد الفكري او الثقافي، فكان فائق يعلم طالبه (ان الفن حس وحسب) فغابت الرؤية الثقافية والتأملية عن اعماله بصالح اتقان عناصر اللوحة ولاسيما اللون والخط وعوامل الضوء والظل واتقان الخلفيات والتفاصيل التي كان وما يزال ابرع فنان في مجالها.

فتجربته مرتبطة بالواقع والمستلهمة من التراث الحضاري في العراق والمنتهية بمعايشة الفلكلورالمعاصر والمتضمنة تاريخا رمزيا وذلك بعكسه الواقع المرحلي وملاحقته بخبرة اللون أو بخبرة تجميع الضوء، فهو يعد أول فنان عراقي فلسف اللون وأنتج تجاربه الفنية (قيما لونية) جعلها أساسا في لوحاته، بل تقوم لوحاته الرائدة على طبيعة الألوان وترابطها وانسجامها، فإذا اتقن الفنان لعبة توزيع الكتل اللونية اتقن الحركة في اللوحة لأن في اللون عمقا وامتدادا وتموجا، وهذه كلها تفتح الغاز إبداع الرسم. فأسلوبه يحمل من الخصوصية ما ينشئها يجعله متفردا، ومبتعدا عن تشابه الأساليب السائدة، وأن يكن ذلك في إطار الرسم العراقي الحديث على وجه التحديد (خضير، اخلاص ياس، 2015ص5). أما الجوهر الحقيقي في أعماله فكان قدرته على التقاط روح الحياة العراقية اليومية. وكانت مادة مواضيعه مستمدة من المحيط العراقي، هيمنت رسوم القرويين والعمال والفرسان والمناظر الطبيعية على أعماله وكان يصوّرها برهافة انفعالية، أياً كان الأسلوب.. غير أن معظم أعمال فائق الأولى كانت تتصف بالتجريدية واستقامة الخطوط، كما أنه أبدى خلال مسيرته ميلاً للأسلوب الواقعي في رسومه التي تصور أفراداً من الأكراد

1- * ا.د.هاني محيي الدين: فنون تشكيلية
* ا. د.منير فخري: فنون تشكيلية
* ا. د.هادي مشهدي: فنون تشكيلية

والعرب البدو. تدل كافة هذه الأعمال على اتساع كفاءته الفنية وعلى تكريس فنه لنقل حس ذي طابع عراقي كان يتماشى مع المشاعر الوطنية التي كانت سائدة حينذاك.

لوحة البدويات

نماذج التحليل

الفنان	فائق حسن
اسم اللوحة	بدويات
المواد والخامات	زيت على قماش

نفذت اللوحة بالاسلوب الواقعي والذي تميز به الفنان والذي يعتبر احد رواده، جسد الفنان بيئة البداوة من خلال عناصر العمل الفني الذي تسيد مشهده امراتان بدويتان. احداهن منهمكة بالعمل اليومي (الغزل) والاخرى تجلس بجانبها، وقد صور الفنان ملامح البداوة للشخوص وكذلك اظهار الظلال في اللوحة ولذي يعتبر مصدر من مصادر الهامه، كذلك اظهر اهتمامه بالقيمة اللونية على حساب الاسلوب الفني كما معروف بشغف فائق حسن بمعايير الرسم الاكاديمي، اعطى الفنان اللوحة اجواء صحراوية من خلال تدرج الالوان البنية والصحراوية المصفرة في اغلب فضاءات العمل، اما المركز فاضفى عليه اللون الاحمر لجذب البصر،ويعتبر كعرف فني اعتاد عليه جمهورالفنان، كذلك نشاهد في اللوحة عناصرثانوية اخرى كالرجل بلباسه البدوي وهو يقف بالخلف، اضافة الى شكل الخيمة الذي اخذ الجزء العلوي من اللوحة والذي يعتبر من العناصر الاساسية للتعبير عن البيئة او المكان الذي يسكن فيه البدو. اللوحة بشكل عام اتسمت بمضمونها الفكري البسيط والذي تجسد من خلال الاشكال والعناصرالفنية التي عبرت عن الحياة الاجتماعية اليومية لفئة محددة من المجتمع العراقي

الفنان ماهود احمد

الفنان الذي ارتبط اسمه بالجنوب والاهوار، بيئته التي لم ينسلخ عنها في فكره ومخيلته، ولم تؤثر دراسته في روسيا في جامعة السوريكوف على مواضيع لوحاته ومضمونها الفكري، برغم التاثيرات البسيطة في تقنية الاسلوب، حيث لم ينكرالفنان اعجابه بالفنانين الروس مثل فروبيل وسالاخوف. عبر الفنان ماهود احمد عن بيئته الجنوبية باسلوب تعبيري اقرب الى الواقعية في بعض اللوحات، والى الرمزية في البعض الاخر. المراة كانت هي الاساس والمرتكز في لوحاته واداة للتعبيرعن الواقع الجنوبي والقروي في الممارسات الاجتماعية والعادات والتقاليد وفي الحكايات الشعبية والايمان بالاساطير والمعتقدات (نـدى عايـد يوسف 2012 ص15)، تظهر النساء في لوحات ماهود احمد بوضعيات مختلفة كالاستلقاء والجلوس والنوم وبمواضيع مختلفة، فتظهر احيانا بجسد مبالغ في تضخيمه كتعبيرعن رمز الخصب، كذلك في حالة التامل وملامح الحزن، وكان الوشم يلازم جسدها في اغلب اللوحات كرمزلموروث جمالي يحمل دلالات ومعانين اما العناصرالشكلية الاخرى كالرجل والثور والمشحوف فهي ثانوية تجسد عناصر مرتبطة بالبيئة.

لوحة (نساء حول راس سرجون الاكدي)

نماذج التحليل

الفنان	**ماهود احمد**
اسم اللوحة	**نساء حول راس سرجون الاكدي**
المواد والخامات	**زيت على قماش**

تتكون اللوحة من عنصرين اساسيين المراة وراس تمثال. ويتكون العمل بشكل يشغل كل فضاءات اللوحة بوضعيات جلوس مختلفة لمجموعة من النساء، مع اظهار ملامح

الوجوه الذي يلفها الحزن باسلوب تعبيري يكمن في المبالغة في اظهار الملامح وحركات الايدي وحجم الوجوه الذي يعبرعن العادات والتقاليد في طقوس الموت الذي يتجسد في جلوس مجموعة من النساء حول رأس تمثال سرجون الاكدي، والذي يظهر مدى ارتباط الانسان والبيئة بالحضارة القديمة، كذلك نلاحظ الملابس الداكنة (العباءة) التي ترتديها النساء في مشهد تراجيدي.

اعتمد الفنان الانشاء الدائري في توزيع الاشكال اوالعناصر مع المركزية اوالسيادة بالنسبة لمكان للتمثال الراسي في منتصف اللوحة، كذلك وظفت وجوه النساء واجسادهن بخطوط منحنية وانسيابية.

مزج الفنان في هذه اللوحة الالوان الاحادية بتدرجاتها من الاسود الى الرمادي مع اللون البني في معظم المساحات في اللوحة للتعبيرعن اجواء الحزن التي تسود اللوحة وبطريقة الانسجام اللوني ومع استخدام اللون الازرق كلون معبرعن بيئة الاهوار، واللون القريب من الاصفر في مركز اللوحة ليضيف شي من الاضاءة كجمالية في التضاد اللوني وجذب النظر الى المركز ويكسر جمود الانسجام اللوني بالالوان الاحادية والباردة، كذلك اعتمد تقنية السلاسة وعدم بروز صبغة اللون بشكل بارز في مساحات العمل.

الفنان حسن عبد علوان

الفنان الاكثر تفردا وخصوصية في عمله واسلوبه الفني الذي يوحي للمتلقي للوهلة الاولى بالانتماء الى الفن الفطري، اعمال حسن عبد علوان تدور في مدى بعيد عن كل التجارب والاتجاهات الفنية المعروفة، رغم تأثره في فن المنمنمات للواسطي في مقامات الحريري في الاسلوب والتقنية، وباعمل الفنان الروسي شاغال في طريقة توزيع مفردات العمل. لوحات حسن عبدعلوان تتسم بالبساطة في الطرح والمضمون والاسلوب، فهي تعبرعن الحكايات الشعبية في كل مفرداتها ودلالاتها من قصص الحب والشعر والفلكلورالشعبي في احياء وازقة بغداد الشعبية، كذلك تضمنت على النصوص الادبية الموروثة كما في قصص الف ليلة وليلة، ولم تقتصراعماله على ذلك بل عبرت الى حدود ارتباطه ببيئته الجنوبية في الناصرية متجسدة في الاهوار في مشاهد اقرب للخيال منه الى الوقع، كما وظف عناصرلوحاته وشخوصها في فضاءات العمل في جو سريالي لايخلو من

الرمزية في بعض الاشكال والمفردات والرموز التي تفسرمدلولات ما وراء الشكل من معتقدات. لقد تسيدت المرأة في اغلب مشاهد لوحاته وباجواء مختلفة، فتظهر في بعض اللوحات في ازقة وشرفات المنازل البغداية (الشناشيل) في زيها الفلكلوري البغدادي،او كفتاة حالمة تطيرعلى بساط الريح حاملة كل احلامها ورغباتها معها فوق الغيوم (حميد، اياد ذياب، 2016، ص17)

كذلك وظف الفنان عناصر واشكال اخرى اضافة الى النساء والرجال، كالطيور والاسماك كرموز لمعاني ومعتقدات كما اسلفنا، اضافة الى ذلك نرى مفردات كالمباني العمرانية المختلفة، اضافة الى المشاحيف والاشجار وعناصر اخرى.

لوحة (امرأة من الجنوب)

نماذج التحليل

الفنان	حسن عبد علوان
اسم اللوحة	امراة من الجنوب
المواد والخامات	زيت على قماش

لم تتغير تعابير ملامح وجوه الاشخاص في اعمال علوان باختلاف بيئتها، فملامح المرأة البغدادية تشبة المراة الجنوبية الا في اختلاف المظهر او الزي، فالتعبيرالنفسي يظهر في وضعية حركات الاجساد، تجسد حالات انفعالية مختلفة كالفرح اوالحزن اوالعشق وليس في الملامح. تميز الفنان بالوانه المتضادة والصريحة كالفيروزي والاحمر والاصفر والقهوائي للعناصر الشكلية في اللوحة، بينما الفضاءات والمساحات تكون بالالوان الفاتحة، كذلك اعتمد الفنان الانشاء الحر في توزيع الاشكال في فضاءات اللوحة، كما ان

بعض الاشكال المعمارية نفذت بخطوط مستقيمة حادة، اما الاشخاص فكانت بخطوط منحنية ومتناسقة بانسيابية، ونلاحظ ذلك في شكل المرأة وهي تحمل قارورة الماء على رأسها، لتشغل المساحة الاكبر في منتصف فضاء اللوحة، وتظهر في المبالغة في العيون والجسد، والاختزال في بعض الملامح، ووجود المشحوف بشكل ثانوي في المشهد يعرِّف المتلقي بالمكان اوالبيئة التي تعكس الممارسات الاجتماعية والوظيفية التي تمارسها المرأة في محيطها وبيئتها. استخدم الفنان اللون القهوائي الداكن واللون الشذري وقليل من الاحمر في جو منسجم رغم التضاد اللوني، يدل على امكانيته في اخراج الالوان بشكل يحافظ على قيمة جمالية لونية بتقنية غير مألوفة.

يعد أول فنان عراقي فلسف اللون وأنتج تجاربه الفنية (قيما لونية) جعلها أساسا في لوحاته، بل تقوم لوحاته الرائدة على طبيعة الألوان وترابطها وانسجامها، فإذا اتقن الفنان لعبة توزيع الكتل اللونية اتقن الحركة في اللوحة لأن في اللون عمقا وامتدادا وتموجا، وهذه كلها تفتح الغاز إبداع الرسم. فأسلوبه يحمل من الخصوصية ما ينشئها يجعله متفردا، ومبتعدا عن تشابه الأساليب السائدة، وأن يكن ذلك في إطار الرسم العراقي الحديث على وجه التحديد (خضير، اخلاص ياس، 2015ص5). أما الجوهر الحقيقي في أعماله فكان قدرته على التقاط روح الحياة العراقية اليومية. وكانت مادة مواضيعه مستمدة من المحيط العراقي، هيمنت رسوم القرويين والعمال والفرسان والمناظر الطبيعية على أعماله وكان يصوّرها برهافة انفعالية، أياً كان الأسلوب.. غير أن معظم أعمال فائق الأولى كانت تتصف بالتجريدية واستقامة الخطوط، كما أنه أبدى خلال مسيرته ميلاً للأسلوب الواقعي في رسومه التي تصور أفراداً من الأكراد والعرب البدو. تدل كافة هذه الأعمال على اتساع كفاءته الفنية وعلى تكريس فنه لنقل حس ذي طابع عراقي كان يتماشى مع المشاعر الوطنية التي كانت سائدة حينذاك.

الفصل الرابع \ عرض النتائج ومناقشتها

استنادا الى تحليل العينات وما تلخص من الاطار النظري تمكن الباحث من الوصول الى النتائج التالية، وهي ان اصالة العمل الفني الذي يعكس ويجسد الموروث التاريخي الفني الثقافي العراقي يعتمد على مؤشرات اونماذج شكلية وهي:

1 – الاشكال والرموزالفنية المتمثلة في فنون العراق القديم، حضارات وادي الرافدين (السومرية والاكدية والبابلية والاشورية)، هي الاكثرا عمقا في التاريخ والاكثر تاثيرا في خلق انطباع عن هوية وثقافة وتاريخ العراق، لانها شواهد فنية عريقة راسخة في مفهوم كل العالم.

2 – البيئة وتنوعها التي تعكس انماط اجتماعية مختلفة من الحياة، وبيئة العراق متنوعة وفريدة باشكالها كالاهوار والمشاحيف وبيوت القصب في الجنوب، والنواعير ووالبساتين على ضفاف الفرات في مناطق غرب العراق اضافة الى حياة البدو في المناطق الصحراوية، وكذلك سحر الطبيعة وجمالها في شمال العراق وفي تصميم البيوت على الجبال في مدينة العمادية مثلا.

3 – الطراز المعماري التراثي، الذي يعكس الطابع الجمالي التراثي، وماله من اثر نفسي يكمن في ارتباط الانسان بالمكان، كالشناشيل والازقة البغدادية القديمة.

4 – صورة المراة من خلال تحليل العينات في نموذج 1، 2، 3 التي هي من اهم عناصرالجمال في كل الحضارات، تعبرعن الهوية والانتماء المكاني والزماني.

5 – المفردات الرموز والدلالات في النصوص الادبية التي تعكس الموروث الادبي كالف ليلة وليلة، ملحمة كلكامش.

الاستنتاجات

في ضوء نتائج البحث يستنتج الباحث الاستنتاجات الاتية:

1 – ان الرسم الجداري هو اكثر الانواع الفنية يعكس نماذج الموروث الثقافي الفني، لان هذا الفن في مفهومه العام هو فن دائما ما يحمل تراث الشعوب وارثها الثقافي، فهو يحمل مضامين وافكار ورسائل واحداث تاريخية، ولا يمكن ان يعكس تجارب شخصية او يكون فن تزييني جمالي فقط.

2 - ان الفن الواقعي وبعض المدارس الفنية الحديثة كالتكعيبية والتعبيرية والرمزية، هي اكثر الاساليب الفنية تماشيا في محاكاة الموروث الثقافي واظهاره بصيغة او اسلوب فني يحافظ على اطاره الشكلي التاريخي المترسخ في الذاكرة والتصور الجمعي، اما الاساليب الفنية المعاصرة فليست كلها تستطيع اظهار القيمة الجمالية الشكلية للموروث الفني بحيث لا تطمس معالمه لانها تعتمد على تقنية الصبغة اللونية فقط.

التوصيات

في ضوء نتائج والاستنتاجات يوصي الباحث بما يلي:

- اعداد واعتماد منهج تربوي يعتمد على دراسة وتحليل اعمال الفنانين العراقيين في المؤسسات التربوية والذي يعكس الواقع الثقافي العراقي
- رفد الواقع الثقافي العراقي باعمال تعكس موروثه التاريخي والثقافي والاجتماعي من اجل ترسيخ الثوابت الوطنية في الانتماء والاعتزاز بالارث الفني التاريخي.

المصادر

- ال سعيد، شاكر حسن، (1983)، فصول من تاريخ الحركة التشكيلية في العراق، ج1، دار افاق عربية للطباعة، بغداد، ص31.
- ال سعيد، شاكر حسن، (1988)، فصول من تاريخ الحركة التشكيلية في العراق، ج6، دار الشؤون الثقافية العامة، ص65
- ال سعيد، شاكر حسن، (1995)، الخصائص الفنية والاجتماعية لرسوم الواسطي، بغداد، ص32.
- الشيخلي، اسماعيل، (1996)، الفنانون الرواد، نشرة الواسطي، دائرة الفنون، بغداد، ص3
- جبرا، ابراهيم جبرا، (1970)، الفن المعاصر في العراق، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ص 5،6، 7
- جبرا، جبرا ابراهيم، (1986)، جذور الفن العراقي، الدار العربية للطباعة، بغداد، ص12 – ص13
- حميد، اياد ذياب، (2016)، مظاهر المجتمع البغدادي في الرسم العراقي المعاصر- اساليب مقارنة، معهد الفنون التطبيقي، ص17.
- خضير، اخلاص ياس، (2015)، اللون عند فائق حسن- دراسة تحليلية – مجلة الاكاديمي،، ص5.
- خورولسكي، فيكتور فاسيلوفيج، (2023)، تناقضات عولمة وسائل الإعلام: الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، موسكو، ص 233
- ريد، هربرت، (1975)، الفن والمجتمع ترجمة – فارس متري، دارالقلم، بيروت، ص17.
- علام، نعمت اسماعيل، (2018)، فنون الشرق الاوسط في العصور الاسلامية، دار المعارفن مصر، ص 186.
- فيشر، ارنست، ضرورة الفن، ص13
- محمود، محمد خضر، (2009)، دور التصوير الاسلامي في عكس الواقع الاجتماعي والثقافي للمجتمع العربي الاسلامي، اداب الرافدين، العدد 54، ص10.
- ندى عايد يوسف، (2012)، صورة المراة في اعمال الفنان ماهود احمد، مجلة الاكاديمي، ص15

الملحق (استمارة التحليل)

المحور	الفقرات	الاستجابة		
		متحقق	الى حد ما	غير متحقق
الموروث الثقافي	رموز ودلالات تاريخية / حضارات وادي الرافدين			
	نماذج من الفنون الاسلامية/ اشكال ومفردات من الفنون الاسلامية في العراق			
	مفردات من التراث الشعبي / اشكال ومفردات من الفنون الشعبية ,الحرف اليدوية.....			
	النشاطات الاجتماعية العادات والتقاليد,الرقص ,الطقوس الدينية ,العادات الشعبية.....			
	البيئة ومفردات من البيئة العراقية المتنوعة , الاهوار , السهول ,الجبال , النواعير, المشاحيف.....			
	شخصيات امراة/ رجل			
الفكري	فكرة ومضمون وجوهر العمل الفني			
الإسلوب الفني	المدارس الفنية			
	الحداثة			
	مابعد الحداثة			
	المعاصرة			